١٣٥١ بعد المسيح فلو نقصنا من هذا التاريخ الثمانمائة سنة التى أشار اليها هذا المكتوب لكان مجىء سقب هذا الى بلاد الصين قبل ظهور الاسلام بسنوات وهو باطل

وقد جاء أيضا في مكتوب آخر يخص مسجد الذكري الشريفة ماتعريبه

« شيد برج المعبد المقدس سنة تسن كون مدة حكم تى تسنج فى السنة السابعة والثلاثين من كنج هى » (سنة ١٦٩٩ ميلادية) فبمقارنة هذا التاريخ بسابقه يتبين لنا ان هؤلاء المؤرخين يهرفون بما لا يعرفون

البقيه تأتى

﴿ الشهرة ومشاهير الرجال ﴾

(لمدير المجلة)

قيل فى مأثور الامثال . لكل عصر دولة ورجال . وقد قدر الخالق جل وعلا ان يهيء لكل أمة رجالا منها يشتهرون باعمال يقومون بتأديتها اما لسعادتها واما لشقائها فان الشهرة لاتكون بالاعمال العائدة بالفلاح على الامم فقط بل ربما كانت بظهور المرء بمظهر غير حميد وتمثيل دور ينتهى بالضرر والفساد لسوء التخير وفساد المزاعم والافكار ومن يقلب صحائف التاريخ قديمها وحديثها يرى أن كثيرا من الافراد الذين شبوا على محبة الشهرة والظهور لم يحسنوا طريقها وضلوا عن سبيل الحق اما عمدا أو لغرض في النفس أو جهلا بالواقع ونفس الامر

أما حب الشهرة فليس فى حد ذاته من المضار بل بالعكس هو جليل

لا يوجد الا فى نفوس الافراد العالية الهمم المملوءة بالحياة والنشاط وقد يكون السبب الشريف داعيا الى ايجاد أفسد النتائج وأضل السبل والطرائق والشواهد على ذلك أشهر من أن تذكر

وفي حب الشهرة ما يبعث على العمل وعلو الهمة والاقدام لاكتساب الفخار والتتويج بتيجان الظفر وفيه مايولد في القائم به جليل الصفات التى تؤدي الي ثقة الناس به واعتمادهم عليه وركونهم الي رأيه ومبادئه ومايتبع ذلك من جلائل الاعمال العائدة على الامم بالرفعة وسمو المقام

ومن بحث في ارتقاء العالم من أول نشأته عصرا فعصرا الى هذا العصر الزاهر بانوار المدنية يحكم لاأول وهلة ان العالم مدين بكثير لحب الشهرة والميل الى الظهور فكم من رجال جابوا الاقطار البعيدة واكتشفوا المجاهل وسهلوا طرق التواصل وداسوا شوك المعالي غير منتعلين واصلين سهر الليل بيقظة النهار حبا فى الظهور أمام العالم بمظهر كبار الرجال ولم يذهب عملهم هدرا ولا كدهم هباء بل أفادوا كثيرا وساعدوا العالم فى ارتقائه ووصوله الي الدرجة التي أصبح بها الآن والاصل الباعث على ذلك لم يكن سوى حب الظهور

وهذا من الادلة على أن كثيرا من الطرق التى يقصد بها غرض مخصوص قد تؤدي بصاحبها الى منافع أخرى من حيث يدري ولا يدرى كما كان الباحثون على اكسير الذهب الذي يحول المعادن كافة الي الذهب الوضاح يجدون فى طريق بحثهم خواص كثيرة لبعض المواد والعناصر التي كانوا يستعملونها للوصول الى غرضهم فيعرفون تركيبها وتحليلها ومن هذه المباحث تكون علم الكيمياء الحالي الذي لاغنى لصناعة الطب عنه مع أن الغرض المقصود بالذات لم يوصل ولن يوصل اليه

وليست اهمية كبار الرجال ومحبي الشهرة قاصرة على افادة العالم باعمالهم مباشرة بل ان اعمالهم وسيرهم تبقى على ممر الاعصار والدهور حديثا يتلى ودرسا مفيدا يبعث في نفوس الاعقاب التي تليه حبا للظهور والتشبه بالسابقين. وغير خاف أن المثال اوضح من النظرية فاذا ذكرت لناشئ مقدار الشهرة التي ينالها بجده واجتهاده وثباته ونشاطه لا يؤثر عليه ذلك بعشر معشار ما تبعثه فيه قراءته لتاريخ حياة رجل ابتدأ صغيرا فصار كبيرا لازال اسمه يتلى وخبره يرن صداه في آذان الاجيال الخالفة .

قال (لونجفيلو) الشاعر الامريكي في قصيدة اسمها « مزمار الحياة » (١) مامعناه نثرا

« ان لنا في تاريخ الرجال العظام درسا مفيدا يذكرنا اننا نقدر ان نجعل حياتنا مثل حياتهم حتي اذا مافارقنا الحياة تركنا وراءنا أثرا لاقدامنا في رمال الزمان وتلك الآثار ربما كانت سببا في ارشاد ضال في فضاء البيداء الى طريق السعادة والهناء »

وهذا مايدعونى للقول بان الكتابة عن تراجم مشاهير الرجال يجب أن تكون دقيقة لايقتصر فيها على كلمات المدح والاطراء بالاعمال بل يذكر فيها أهم شيء ألا وهو كيف ابتدأ وكيف قاوم المصاعب ولم تثن عزمه شدائد المتاعب مع التدقيق في أطوار المترجم واخلاقه وصفاته حتى تأتي كتابتها بالفائدة المقصودة منها وذلك قل ان أراه في كتاب الشرق عن تراجم أعاظم الرجال وهو ماأنبه اليه اخواني .

وكثير من الرجال الذين دوى العالم بذكرهم وحفظ التاريخ أسماءهم

(١) Psalm of Life by W. Longfellow

فى سجل أخباره ولا يزال تذكارهم كما وصفه الشاعر الانكليزى { شيلى } « كالبرق اللامع يخترق ظلمة العالم من المبدأ الى الابد السرمدى » لم يقصدوا محبة الظهور بل جاءتهم الظروف عفوا فرفعتهم الى أسمى مكان حظا وسعادة لاعملا منهم واجتهادا اذ لم يكن مكتشف البخار باحثاً عليه طامعاً فى الوقوف فى مصاف كبار الرجال بل كان عاملا بسيطا يغلى الماء فى قدرته ولم يكن (شكسبير) الذي أصبح كلامه عند من يعرف عنه شيأ حجة فى بلاغته وحكمته محبا للظهور وهذه الشهرة بل انه لم يكن فى مبدأ أمره الا خادما يحرس خيول الاشراف الذين يأتون للتفرج على التمثيل ثم درس قليلا ومثل كثيرا وارتقي به الحال فوجد من نفسه باعثاً على الكتابة طلبا للرزق فألف وصنف ومع ذلك لم يصادف في أول أمره نجاحا بل لم يقدر الانكليز قيمة شعره الا بعد مائتى سنة من موته ومثله كثيرون من أرباب الاعمال العظيمة

وكثير ممن رغبوا في الشهرة وتعبوا وراءها وكدوا ونصبوا لم ينالوا منها شيأ يذكر فمنهم من لم يستوف من الصفات ماتؤهله للحصول على اسم كبير ومنهم من ضل سواء السبيل واختار طريقاً غير ناجح ومنهم من قام فى ظروف لاتسمح له بالحصول على مرامه وبعد الجهد والعناء انزوى عن العالم بعيدا .ومنهم من راح فريسة الاضطهاد قبل نضج زهرته وظهور مبدئه والشواهد على ذلك كثيرة الامثال ومنهم من حفظت له آثار ككتابة في موضوع أو ماشابهها حتى اذا ظهر في العالم من يرى رأى الاول اشتهر مبدؤه ونال شهرة بعد موته وقد فارق الدنيا آسفاً على فشله. وهل ينفعه ذلك وهو فى قبره ؟

وما نفع من قد مات بالامس صاديا * اذا ماسماء اليوم طال انهمارها

قلت ان حب الشهرة فى حد ذاته مفيد للعالم والاعقاب الخالفة .ولكن

لا بأس في الخوض قليلا في مبحث هل الشهرة تفيد أصحابها وتجلب لهم سعادة أو بالعكس هي تعب لهم وشقاء في هذا العالم ؟ ولعلمي ان هذا المبحث من أكبر المباحث فسأعرض بضاعتي القليلة وكفاها قلة انها لم تحنكها كثيرات التجارب ولعلي بذلك أحث الكتاب الافاضل على طرق باب هذا الموضوع فما تزاحمت الافكار على شيء الا وانجلت حقيقته

أجمع أغلب كتاب الشرق والغرب على أن محبة الشهرة والظهور تكلف الانسان التعب والعناء وتبعثه على اقتحام الأخطار التي قد يكون من ورائها الفناء أو البلاء فكثير من الرجال ماتوا ضحية حب الرفعة والشهرة وتشير انهكهم التعب والكد حتى وهت قواهم ولم يتهنوا بنتيجة أتعابهم وقد قال المتنبي

واذا كانت النفوس كباراً * تعبت في مرادها الأجسام

وقيل في الامثال السائرة « الظهور يقصم الظهور » وقال بعضهم « الشهرة حذر وعيشة صاحبها كدر » وقال آخر « الكبير المقام كراكب الأسد يهابه الناس وهو لمركبه منهم أهيب »

قال « بوالو » الشاعر الفرنساوي الشهير ما معناه « سعيد من يعيش في ركن منزو عن العالم لا يحلم بما يسمونه في عرفهم حب الشهرة وليست الا كدخان يتطاير في الفضاء يراه الانسان بعينه ولا يفيده في نفسه »

وقد اكثر الفضلاء في كل عصر من التذمر والشكوى من المتاعب والمصاعب وما فتئوا يساؤون في أيامهم . ولله در أبي العلاء القائل

أولو الفضل في أوطانهم غرباء * تشذ وتنأى عنهم القرباء

اذا ماخبت نار الشيبة ساءني * ولو نص لي بين النجوم خباء

نعم ان الشهرة في حياة الانسان ربما عادت عليه بأسباب السعادة الا

ان صاحبها يجب ان يكون كثير الاحتراس والحذر خوفا على سمعته ومقامه ولايخفى مافى ذلك من الضيق والآلام .وماذا تكون لذة الشهرة وفيها ضيق للمرء وحبس لارادته ومآربه النفسانية مثلا ؟

ومما يبقي فى ذاكرتى من قصيدة لشاعر انكليزى مامعناه « ماذا ينفع تاج الشهرة اللامع البراق فوق جبين مقطب جعدته أيدي الأيام بمتاعبها وحذرها والحرص عليها »

ومن المعلوم أن شهرة كثير من مشاهير الرجال لم تظهر الا بعد موتهم حيث تقام لهم التماثيل ويحفظ لهم أسمى مقام في النفوس ولكن هل يفيدهم ذلك بعد فناء العيش وانقضاء أيامه التى عاشوها متسلقين على سلم الصعود محفوفين بالمخاطر والمخاوف والمكاره . قال أبو العلاء مخاطباً للدهر

أري ذوى الفضل وأضدادهم * يجمعهم سيلك فى مده
ولا يبالي الميت فى قبره * بذمه شيع أم حمده
والواحد المفرد فى قبره * كالحاشد المكثر من حشده

وفي قصيدة طويلة كلها حكم اسمها {غرور المآرب الانسانية} (١) للدكتور جونسن الشاعر الانكليزي مامعناه نثرا

«حتى اذا ماسجل اسمه فى جداول المدرسة (٢) تراه فى الحال وهو غض الشباب مملوء بالحماس يهجر راحته وهناءه ويتمسك بأذيال حب الشهرة والظهور فيمتلىء فؤاده شغفا وقلبه نارا متقدة ملتهبة بحب الشهرة التى تصل اليه عدواها

١. Vanities of Human Wishes by Dr. Johnson

(٢) يتكلم عن دخول الطالب مدرسة اكسفورد الجامعة حيث يتخرج منها أعظم مشاهير رجال الانكليز

من رداء الخطابة (٣) . وبعد ذلك تنحصر أوقاته واتعابه في قاعة « بودلى » (٤) وكلما مر تحت قنطرة « باكون » يظنها تهتز لتسقط بعد مروره (٥). فهل هذه كل آمالك ؟ استمر فى طريقك أيها الناشئ المولع بالشهرة ولتسر بك الفضيلة الى عرش الحقيقة !

ولكن هب انك بلغت مالم يبلغه سواك حتى سلمت لك كنوز العلوم مفاتيحها وقادتك الحقيقية بنورها الساطع الوضاح وصبت على الشك المريب المظلم نورها الباهر الزاهر . وهب انك لم تخدع بالشفقة عليك والاطراء بك ولم تثن عزمك المصاعب . وهب أيضا انك لم تركن الي الاهمال مرة ولم يسلب فؤادك فاتن الجمال . فطاشت سهامه المسددة بالنبال . وهب بعد ذلك ان آلام الامراض لم تعرف لك مكانا ولم تزرك الاحزان يوما ما . فلا تظنن بعد ذلك كله ان العيش خال من الهموم والاكدار . اليك عني قليلا وسرح طرفك في ماضي الايام وسالف الدهور واترك درسك ساعة تتعلم فيها علوم الحكمة والاعتبار بغيرك وانظر ماينتظر طالب العلم على باب مدرسته من متاعب الحياة الدنيا ولو كان شهيرا عظيما هنالك ينتظره الحسد والتعب والحاجة والفاقة

(٣) من عادات الطلبة فى مدرسة اكسفورد انهم يعقدون اجتماعات للخطابة في أوقات معينة يلبس فيها الطلبة رداء اسود مثل رداء المحامين الذى يسمونه (روب)

(٤) يراد بقاعة بودلي — محل المكتبة المدرسية باكسفورد وسميت بقاعة بودلى لان أول من أسسها كان اسمه بودلي

(٥) كان يوجد فى مدرسة اكسفورد قنطرة منقوش عليه كثير من تآليف باكون الفيلسوف وكان من المعتقدات السائدة أن هذه القنطرة تقع بعد مرور رجل تحتها يظهر له في الوجود اسم وشهرة يفوقان ماليا كون من الشهرة الزائدة ويشير بذلك الي أن الطالب المولع بالشهرة يظن فى نفسه انه سيصل الي أكثر ماوصل اليه باكون . وقد هدمت هذه القنطرة

وبعد ذلك القبر المفتوح . وانظر الى الامم كيف تراها بطيئة الادراك قليلة العدل لدرجة انها لا تعظم مقام رجل كبير عندها الا بعد أن يصير جسمه ترابا . وان غرتك الاحلام بعد ذلك فاعتبر بحياة (ليديات)(٦) وما تم (لغاليليو) (٧) اه .

ومثل ذلك قول الفيلسوف العربي أبي العلاء المعري

تكرم أوصال الفتى بعد موته * وهن اذا طال الزمان هباء

وأرواحنا كالراح ان طال حبسها * فلابد يوما ان يكون سباء

ولا ينكر احد ان في الشهرة لذة معنوية للانسان فما أعجب المرء بنفسه حينما يجلس في غرفته ويركن ظهره الي وسادته ويعلم ان الوفا من الناس تقرأ كتابه او تتباحث في افكاره أو أن في اطراف القري وبعيد الاقطار أمما اخرى تلهج بذكره وتردد اسمه ولا غرابة بعد ذلك ان يكون حب الشهرة امرا غريزيا في النفوس فانك لترى الكاتب والشاعر والفيلسوف الذي

---

(٦) ليديات كان من علماء أوروبا في القرن السابع عشر واضطهده كثير من الحكام وبعد سنين عاشها في كد وعناء وشقاء وبلاء تخلص من آلام الحياة بالموت في سنة ١٦٤٦ ميلادية

(٧) غاليليو هو الفلكي المشهور الذي اخترع النظارات المعظمة وخصوصا النظارة المسماة باسمه وقد دعاه رجال الدين وطلبوا منه أن يتنازل عن معتقداته فأبت نفسه فأودع السجن حتى وهت قواه وتلفت عيناه وكابد أنواع البلاء ومن قوله وهو في السجن « اني في ظلامي أغيب بفكري وأتخيل مرة هذا الجزء الطبيعي وذاك الآخر ومهما حاولت أن أريح نفسي وعقلي فلا أقدر أبداً لانشغال بالي بالنجوم والافلاك وزيادة آلامي بالتعب والعناء الدائمين حتى حرمت لذة المنام وعشت في عالم كله أحلام في أحلام »

وقد زاره ميلتون الشاعر الانكليزي وكتب عنه ما يفتت الفؤاد ويذيبه حسرة على ضياع مثل غاليليو

ومات غاليليو مقهورا من الحزن والألم بحمى فتكت به فتكا ذريعا في سنة ١٦٤٢ ميلادية اه